

إستراتيجية التفكيك فى الحرب على الإسلام

محمد يوسف عدس

نعم .. هذا ما أزعمه: هناك إستراتيجية تفكيكية فى الحرب الدائرة على الإسلام لتقويضه واستنصاله من العقول أولاً ، ثم من الأرض فى مرحلة تالية .. ولقد أدركت جوانب خفية ولكنها على درجة كبيرة من الأهمية من حقيقة وأبعاد هذه الحرب الصهيونية الشيطانية فى العالم وفى مصر بصفة خاصة- وذلك عبْر متابعة وبحث خلال السنوات القليلة الماضية .. وأرجو أن أتمكن من توصيل هذه الحقيقة إلى المسلمين ، وإلى غير المسلمين لأن خسارة العالم للإسلام ستكون وبألا على البشر جميعاً ..

ولعلّ هذه المقالة أن تكون فاتحة مناسبة لإلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع - لذلك أتوجّه بها إلى المثقفين الجادين الذين لا يألون جهداً فى الغوص وراء جذور الأشياء ولا يكتفون بالنظر إلى السطوح والأشكال البرّانية الظاهرة.

وأول ما ألفت الانتباه إليه هو أننى لا أتحدّث عن المعنى العادى الشائع لكلمة التفكيك ، ولا مايتداوله الناقمون على الأوضاع المأساوية التى ترتبت على الانقلاب العسكرى ضد الثورة العربية .. إنما أقصد به "التفكيك" Deconstruction كمصطلح يستخدمه كلٌّ من المروجين والناقدين لمنظومة الفكر التفكيكي وما بعد الحداثة- على السواء.

تقول: إذن فانت تريد أن تدير ظهرك للجانب السياسى للأزمة الكارثة التى هبطت على العالم المسلم بعد انقلاب ٣ يولية المشنوم ، لتغرقنا فى الجانب الفكرى والفلسفى لمنظومة الفكر التفكيكي..؟! وأقول: هذا صحيح ولكنه نصف الحقيقة .. أما النصف الآخر فهو أن الحرب على الإسلام والعمل على تقويضه هو جوهر الصراع وأبّه وغايته ؛ فقد اكتشف أعداء الإسلام أنه العقبة الكئود فى طريق سيطرتهم على المسلمين وتحويلهم إلى عبيد فى إمبراطورية يهود التى يعتقدون أن موعدها يقترب الآن بسرعة .. وأن الأسلوب الأمثل لتقويض الإسلام لن يكون بالانقلابات وحرب الإبادة والاستنصال العنيف لجماعة المسلمين بالقوة العسكرية فقط ، وإنما بتطبيق أساليب الفكر التفكيكي لتفريغ الإسلام من محتواه ومعناه الحقيقى ، واستبداله بدين آخر تحت مظلة إصلاح وتجديد الدين الإسلامى .. وقد أثبت صمود أردوغان والشعب التركى ووعيه ، قدرة الإسلام على الصمود والتقدم والنجاح فيما فشل فيه الغرب التفكيكى المتهرئ ..

ولكى أضع القارئ على نقطة انطلاق قوية إلى الجانب الفكرى الفلسفى للموضوع أذكره بمقالة كتبها منذ أكثر من عامين تُبلورُ خلاصة ما انتهيت إليه فى الجانب السياسى .. وكان عنوان المقالة "الإسلام وَحْدَهُ" أنقلها إليك -على أمل أن أتمكن من مواصلة الموضوع فى مقالة لاحقة:

"أزعم أن الإسلام وحده هو الفكر القادر على تحريك الشعوب المسلمة نحو الإصلاح والنهضة، وأن أي محاولة لتجاوزه أو القفز عليه هي محاولة محكوم عليها بالفشل ، أستند في هذا الزعم إلى حقائق تاريخية لا يمكن إنكارها ، وإلى واقع مشهود .. ولكن قبل الخوض في الموضوع ، دعني أستدعي لذاكرة القراء واقعة صحفية قريبة العهد يرجع تاريخها إلى ٢٣ نوفمبر ٢٠١٤ حيث نشرت صحيفة "فوكس نيوز" تقريراً صحفياً تناول ما جرى في لقاء خاص استغرق ساعتين كاملتين بين قائد الانقلاب العسكري و مجموعة من الصحفيين المتخصصين في الأمن القومي الأمريكي عُقد بالقاهرة ..

والسؤال هو: ما أهمية هذا الاجتماع ..؟ ولماذا أهتمُّ به أنا شخصياً..؟ أبدأ بالسؤال الأخير لسهولة عليه ولأن الإجابة عليه تؤدي إلى فهمنا تلقائياً لأهمية هذا الاجتماع .. فكاتبة التقرير هي "Judith Miller" يهودية صهيونية تجيد فن الإثارة والتهيج .. ولكن تقاريرها ذات تأثير هائل على الجماهير وعلى صانعي القرار ؛ مصادرها الإخبارية - في معظمها - شخصيات في المخابرات والإدارة الأمريكية .. ولذلك تصرّ على إخفاء أسمائهم ، وقد تعرضتُ بسبب ذلك للسجن ٨٥ يوماً ..

ارتبط اسمها بكل المصائب التي حصلت للمسلمين.. مثال ذلك: تهمة امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل محمولة على سيارات نقل أخفاها صدام حسين في الصحراء .. تلاها الغزو الأمريكي للعراق .. وإتهامها للمؤسسات الخيرية الإسلامية في أمريكا بالانفاق على الإرهابيين ، فتمّ تصفيتهم ومصادرة أموالها .. وكانت وراء الشائعات المتعلقة بخطابات بودرة الأنثراكس بهدف إلصاقها بالمسلمين في أمريكا ..

زارت إسرائيل ومصر والأردن ولبنان .. وفي خلال ذلك كله كانت تثير حولها زوابع من التحريض على ما أسمته بالإرهاب الإسلامي .. و تهيج المشاعر الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين في أمريكا والعالم . هذا مجمل ما يتصل بصاحبة التقرير..

أما الصحيفة نفسها "فوكس نيوز" فهي جزء من الإمبراطورية الإعلامية ، التي يملكها الصهيوني الشهير "روبرت موردوك" وأحد أسلحته في خدمة إسرائيل وتدمير الدول المسلمة التي تقف حجر عثرة في طريق تنفيذ المشروع الإسرائيلي في الشرق الأوسط .. وهذا هو سبب اهتمامي بالكاتبة وبالصحيفة على السواء..

وللإجابة على السؤال الأول نعود إلى تقرير جوديث ملرُ حيث كتبت: "أكد السييسى في هذا الاجتماع مرارا وتكرارا رغبته في الحصول على دعم واشنطن السياسي والاقتصادي للتغلب على ما أسماها "التحديات الضخمة". و طالب واشنطن والغرب بضرورة محاربة الإسلاميين في العالم العربي بزعم تهديدهم للمصالح الأوروبية والأمريكية .. وحلفائها العرب".

وأضافت " أن السيسي تحدث أمام الصحفيين الأمريكيين عن اعتزازه بالأيام التي قضاها في كلية الحرب الأمريكية .. زاعما أن إزالة الرئيس المنتخب د. محمد مرسي لم تكن نتيجة انقلاب عسكري ولكن من خلال انتفاضة شعبية .. وأن الجيش المصري لا يزال يشعر بالامتنان لأمريكا التي أمدته بأكثر من ٧٣ مليار دولار مساعدات منذ عام ١٩٨٤ وحتى عام ٢٠١٢ ."

من أهم النقاط التي وردت في تقرير جوديث ملر التأكيد على: " أن السيسي اعتمد على تشويه الإخوان المسلمين [وإثارة الأكاذيب] أمام الصحفيين الأمريكيين، قائلا: إن المصريين يرفضون الإسلام السياسي ، والأقباط يشكون من عدم حماية الكنائس، والمرأة المصرية غاضبة من سعي الإخوان لحرمانها من حقوقها القانونية والاجتماعية!!."

هذا الكلام -في واقع الأمر- لا يضيف جديدًا إلى معلومات المسؤولين الأمريكيين.. وإنما هو خطاب متفق عليه ذو واجهة مصرية ؛ موجه إلى الرأي العام الأمريكي .. ولكنه في الوقت نفسه يكشف عن مهمة قائد الانقلاب في القضاء على المعارضة الإسلامية للخطط الصهيونية- الأمريكية في الشرق الأوسط ، وعلى ثورة الربيع العربي ؛ وقد اختزل الأمر في الحرب على الإرهاب متمثلًا في جماعة الإخوان المسلمين..

الانقلابيون هم عادة مجرد أدوات لصاحب المصلحة العليا ؛ لذلك لا أتوقع أن يفهموا حقيقة ما زعمت من أن الإسلام هو العقيدة وهو الفكر الوحيد القادر على تحريك الشعوب المسلمة.. وبه فقط يمكن القيام بأي إصلاح حقيقي في العالم المسلم .. أمريكا تفهم هذا ، وتعلم إنه لم يحدث في التاريخ أن بلدا إسلاميا واحدا استطاع العلمانيون إصلاحه ببرامجهم الأجنبية الدخيلة.. ولذلك تصرّ على أن تستمر المعركة العقيمة دائرة أبداً بين الجماهير المسلمة الرافضة والنخب العلمانية المتسلطة ، التي تسعى إلى قهرهم على قبول برامجهم المزعومة للإصلاح لأنها تثير شكوك المسلمين و تهدر هويتهم وعقيدتهم الدينية ..

يدرك الفيلسوف الإسلامي على عزت بيجوفيتش هذه الحقيقة ويصفها في كتاباته ؛ حيث يرى كأن الأرض المسلمة نفسها تقاوم وتستعصي على أي إصلاح يفرض عليها من خارجها مهما كان بريقه ولمعانه. وقد ضرب مثلا على هذا بالنموذج التركيّ تحت الانقلاب العسكري لكمال أتاتورك ؛ الذي تحوّلت فيه تركيا بين يوم وليلة من دولة من العالم الأول إلى دولة متخلفة من العالم الثالث .. لقد استمرت تركيا تحت علمانية أتاتورك في انحطاطها وتخلفها عقودًا تحت سطوة العسكر حتى أفلست ، ولم ينتشلها من الحضيض إلا أبنائها المسلمون المخلصون: ابتداءً من أربكان وصولاً إلى أردوغان وصحبه ..

قد تكون هذه الفكرة مفاجأة لكثير من المثقفين الغارقين في وهم العلمانية والانبهار بالسطوة الأمريكية في العالم .

ولكن أمريكا -والغرب معها- يدركون خطر الإسلام على مخططاتهم الإمبريالية، من هنا كان حرصهم على استئلال عناصر الفاعلية فى الإسلام ؛ فهم يريدون إسلاما بلا جهاد ولا استشهاد ولا تأثير فى المجتمع .. إسلام صامت.. ساكن فى المساجد أو خامد فى المقابر.. أو لاه فى حلقات الذكر و الموالد ؛ فكل هذه ممارسات فلكلورية لا تقض مضاجعهم.. بل يبذلون قسارى جهدهم مع عملائهم المحليين ؛ من أصحاب السلطة والثروة وفقهاء السلاطين على تأكيدها ودفع المجتمع المسلم فى طريقها...

فى زمن الدكتاتوريات التى صنعتها أمريكا وساندتها جرت الأمور على هذا النحو: تجفيف ينباع الحركات الإسلاميه المعنيه بالعمل السياسى و الاجتماعى، وحصارها بالقوانين ، وبالتشويه الإعلامى.. وضرب مواردها الماليه.. فى محاولات دائبه لوضع السدود والحواجز بينها وبين جماهير الأمة المتعطشه إلى العدالة ، الكارهة للفساد والاستبداد .. الغاضبه لإهدار الكرامة ونهب الثروة العامة وتزوير إرادتها ؛ فى الانتخابات والاستفتاءات الصوريه..

وأخيرا ممارسة السلطات الأمنية لعمليات إرهابية منظمة ضد أعضاء وقيادات هذه الحركات: بالإغارات الليلية على بيوتهم وترويع أسرهم وإلقاء القبض عليهم وإيداعهم السجون .. إستضافة تطول أو تقصر حسب المزاج الأمني ؛ وذلك بهدف: إشعار القيادات الناشطة بأن سلطات الأمن مفتحة العينين دائما وأن المطلوب هو الصمت والتزام الهدوء: لا مظاهرات ولا احتجاج ولا معارضة..

وهكذا تتآزر جهود الدكتاتوريات المحلية مع الأهداف الأمريكية الصهيونية فى العالم الإسلامى لإخماد فاعلية هذا الدين ؛ فذلك هو الضمان الأكيد لنجاح المخططات الإمبريالية وتصفية القضية الفلسطينية، مع استمرار الطعم الفاسدة المستبده قابضة على عنق الأمة..

وكان على رأس هذه النماذج: دكتاتورية مبارك.. فلما انكسرت بثورة الشعب فى يناير ٢٠١١ ، أخرجت لنا أمريكا الطبعة الثانية من القيادات العسكرية المدربة فى أمريكا لتنفيذ المخطط الجديد ، بكفاءة أكبر وبأساليب الردع المروعة التى شهدنا حلقاتها تترى تباعاً منذ انطلاق الانقلاب العسكرى فى ٣ يولية ٢٠١٣ حتى هذه اللحظة..

وهكذا شهدنا فى مصر أكبر عملية تمويه للقضاء على الإسلام بتحويل الانتباه الجماهيرى إعلامياً عن هذه الحقيقة إلى معركة ضد إرهاب موهوم متمثل فى جماعة الإخوان المسلمين.. لقد بدا لبعض الناس أن الحرب الجارية الآن تشنها سلطة تزعم أنها مفوضة بالقتل والتصفية الجسدية لجماعة إرهابية مسلحة تعيث فى الأرض فساداً [بحسب فتوى مشايخ الانقلاب].. وليست حرباً إجرامية خبيثة قائمة على الأكاذيب والافتراءات.. تستبيح فيها سلطة إرهابية عميلة دماء الأبرياء وتعمل بكل ماديها من أسلحة فى ترسانتها العسكرية وبأحدث ما فى الترسانة الأمريكية الإسرائيلية من أسلحة جهنمية لاجتثاث الإسلام نفسه من مصر..

هذا هو الجانب السياسي للقضية ؛ وهو كما ترى يُسْتَخْدَمُ فيه العنف المفرط في استئصال الاسلام من الوجود ، أما سلاح "التفكيك" فهو سلاح فكري ناعم ، أخفى من دبيب النمل على صخرة ملساء في ليلة حالكة الظلام . ونحن على موعد بمواصلة الموضوع -أنصح الأصدقاء أن يقرأوا ما كتبه العبقريّ عبد الوهاب المسيري عن الحداثة وما بعد الحداثة وعن صاحب نظرية التفكيك "جاك دريدا" Jacques Derrida ، وبالأخص ما كتبه المسيري عن "القبالة اليهودية" ؛ إذ يكمن أصل الداء في نسيج اللاهوت اليهودي لمتصوِّفة القبالة ، وما فعله الحاخامات الذين نسفوا قداسة التوراه بالتلمود الذي كتبوه بأيديهم ، وجعلوه أقدم من التوراة .. يقول بعض المؤرخين: إن الحاخامات انتقموا من إلههم الذي قسا عليهم ، وكتب عليهم التشريد في الآفاق والخضوع للأمم التي أوتهم-بتشويه كتابه وتشويهه هو نفسه ، وتوارث اليهود الحقد الدفين على الأمم التي أوتهم على مر التاريخ، وستجد إشارات قوية واضحة في القرآن على هذا الموقف اليهودي النمطي ؛ عبر أمثلة كثيرة ربما من أبرزها حقدهم على الشعب المصري الذي تعاطف معهم وآواهم ضد إرادة الفرعون ، وعندما أرادوا الخروج مع موسى ، منحهم المصريون ذهبهم وتنازلت النساء عن خُلِيَّهن لنساء اليهود..

وسوف تسأل ما علاقة التفكيكية وجاك دريدا بكل هذا؟ وأجيبك مبدئيًا أن حياة جاك دريدا العملية كانت تمثل النموذج الأبرز لليهودي التائه الحاقد في الشتات ، وأن التفكيكية هي الانعكاس الفكري للشتات واضطراب الهوية وانعدام المعنى وانفصام الدلالات عن مدلولاتها في اللغة والفكر.. والهوس بفكرة تأويل النصوص بغير حدود ولا موازين ولا كوابح .. والأكثر من هذا عجبًا أن هذه النزعة الشيطانية قد نفذت إلى أبعاد خطيرة في مصر.. وأن الأيدي اليهودية العابثة قد وصلت إلى عقول كثرة من المشايخ المرتزقة ممن تراهم اليوم يعرضون بضاعتهم الخبيثة على شاشات التلفزة ، وفي كتب يروج لها أب [القرآنيين] الذين ينكرون السنة ، والمتأولون المتنطعون ، وكثرة أخرى تتابعهم-مرتزقة أيضًا- من أنصاف الشيوخ والكتبة الجهلاء والأغبياء. وإلى لقاء آخر بمشيئة الله.

myades34@gmail.com

تم النشر بجريدة الشعب الجديد يوم الجمعة ٩ ديسمبر ٢٠١٦م